

# دور الأشراف المرابطين في تأسيس وتبلور الروحانية الأمازيغية

الدكتور زعيم خنشلاوي

رئيس قسم البحث بالمركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ - الجزائر.

للقاضي النعمان " بدار الهجرة ومستقر الإيمان " والبربر من كتامة بالأولياء والإخوان كما هو الحال إلى يومنا الحاضر بلا انقطاع لدى أتباع الطريقة الرحمانية الذين لا يزالون ينعتون بالإخوان.

فعلى إثر قمع ثورة محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب التي كان قد باركها الإمام مالك إمام أهل المدينة والمرجع الأعلى لبلاد المغرب لجأ أخوه سليمان على غرار مولاي إدريس إلى حوزة عين الحوت من أحواز تلمسان أين أرسى حفيد النبي محمد صلى الله عليه وسلم القواعد الروحية لجامع أغادير العتيق أول مسجد بني بالمغرب الأوسط لبث تعاليم جده السماوية إلى أن توفاه

من المسلم به أن الروحانية الأمازيغية وطيدة الارتباط بالأشراف المرابطين الذين لاذوا بجبال القبائل فرارا من ويلات الزمن وتقلبات الأحداث بمنطقة الشرق الأوسط. إذ من المؤكد تأريخيا أن إرهابات هذا التلاحم العضوي بين البربر والأسر الشريفة ترجع إلى الساعات الأولى لظهور الإسلام حينما تحولت أرض المغرب الأوسط تحديدا إلى ملجأ آمن لذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين هاجروا إلى إفريقية الشمالية فرارا من ملاحقة الخلفاء الأمويين والعباسيين خصوصا بعد المجازر التي ارتكبت بحقهم خلال مأساة كربلاء سنة 680 وواقعة فخ سنة 762 حتى صارت منطقة القبائل الصغرى تنعت في المصادر التاريخية ككتاب افتتاح الدعوة

في الجزائر في بداية القرن العشرين في صدد تصنيفه لكتاب شجرة أنساب الرسول مرفوعا إلى فاطمة الزهراء رضي الله عنها قالت: "سمعت رسول الله يقول أن لي بالمدينة أنصارا ولولدي بالمغرب أنصارا يا فاطمة سيقتل الحسن والحسين ولا يجد ذريتهما أنصارا إلا البربر فيا شقاوة من قتلها ويا سعادة من أحبها يا فاطمة قد جعل الله في قلوب البربر لذرتي محبة ورحمة وسيكون قوم من البربر على اليقين والدين إلى يوم الدين". الحديث منقول عن كتاب سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول لعبد الله بن محمد بن الشارف بن سيدي علي حشلاف المطبوع بالمطبعة التونسية سنة 1929، صفحة 26 والذي يعد أثمن وأدق سجل لأنساب العائلات الشريفة الجزائرية ومراحل وأماكن استقرارها وتفرعها عبر ربوع التراب الوطني.

فضلا على الاعتقاد الشعبي المحلي في الرجال السبعة أو الشيوخ السبعة الذين يكونون قد لقوا النبي في حياته وكلموه بلغة الأمازيغ فأجابهم عليه السلام بلغتهم وحملهم كتابا محتوما لسكان المغرب. ما

الأجل سنة 795 مورثا بركة جده إلى سلالة الشريفة كما توارثتها سائر فروع الدوحة الفاطمية المنتشرة في ربوع بلاد البربر.

فباستقرار الشرفاء من ذرية فاطمة الزهراء بالمغرب الأوسط تم غرس البذور الأولى لثقافة الزهد والتصوف وكذلك بث روح المساواة بين صفوف الشعب الأمازيغي. إذ يمكننا القول في هذا المضمار أن تاريخ الإسلام بالجزائر مرتبط بعضويا بروحانية أهل البيت الذين تولوا مهمة فتح قلوب البربر بعد أن تم فتح أرضهم ما جعل الدين الجديد يكتسح الديانات القديمة السابقة والتي بقيت على عهدا أجنبية ودخيلة على الروح الأمازيغية خلاف الإسلام الذي أضحى بحق ديانتهم الوطنية والرسمية مع اختفاء أكيد وانهايار تام للاعتقادات الوثنية والكتابية بين ظهرانيهم.

يأتي هذا مصداقا للحديث المنسوب ولو تبركا للرسول صلى الله عليه وسلم الذي نسرده على سبيل الاستشهاد الرمزي والذي رواه على ضعف سنده قاضي المالكية بمسغانم ونقيب الأشراف

إزاء اضطهادات وتجاوزات الولاة الأمويين الذين عمدوا إلى تخميس البربر حيث فرضوا عليهم خمس أموالهم بدعوى أنهم فيء للمسلمين متعددين في ذلك الأعشار والزكوات الشرعية لولا مقاومة آل البيت النبوي الشريف لهذه التجاوزات الخطيرة المخالفة لتعاليم الدين الإسلامي مما أكسبهم انجذاب الأمازيغ الفطري المفعم بالود والاحترام والتقديس والموالة.

عرفانا منهم بالجميل، تحمل البربر بدورهم أمانة الدعوة للرسالة المحمدية والانضواء تحت رايتها الموشاة بالأخضر والأحمر التي توارث ألوانها العلم الجزائري الحالي. فهم الذين وطئوا التأسيس الخلافة الفاطمية بالجزائر باستقدامهم الإمام المستور عبيد الله المهدي بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن فاطمة الزهراء بنت رسول الله الذي هاجر متنكرا في زي تاجر برفقة ولده القائم من سلمية بأعالي الشام إلى بلاد كتامة أين أعلن قيام دولة الإمامة الفاطمية يوم الجمعة 21 ربيع الآخر سنة

يدل على العروة الوثقى التي تربط البربر بمنبع الرسالة المحمدية وتحميلهم الأمانة الإلهية.

حتى أن قبائل زواوة الذين من المحتمل أن ترجع تسميتهم إلى كثرة زواياهم يسقطون أو يخففون من وقع آية الحجاب على نسائهم ويشبونها ويحصرونها ببنات الأشراف والمرابطين اللواتي لا تخرجن ولا يتعملن خارج البيت وتُخاطبن بصيغة "لالة" إلى يومنا هذا في بعض المناطق المحافظة بجبال القبائل والأوراس حرمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بينما يخاطب ذكرهم "بسيدي" و لو كان المخاطب غلاما يافعا والمخاطب كهلا كبيرا ما جعل الأشراف يراقبون بدورهم تصرفهم وسلوكهم حتى يكونوا نعم الخلف لنعم السلف فكانوا ولا يزالون دعاة للخير والصلح وصوتا مدويا للحق في ربوع بلاد البربر ومشعلا لنور الهداية المحمدية.

من المحقق أن الشرفاء من السلالة الفاطمية التي يجري تكريمها وتمجيدها شعبيا في الجزائر قد عرفوا بتفانيهم في الانتصار لحقوق الموالي من غير العرب

297 للهجرة الموافق 9 يناير 910 للميلاد بعد قرنين من الكفاح السري بالموضع المعروف بفج الأخيار بإكجان الواقع بمنطقة القبائل الصغرى.

لقد كانت لهذه المملكة الباطنية التي قامت على أكتاف قبائل كتامة البربرية مآثر حضارية وفكرية لا تحصى منها جامع الأزهر الشريف بالقاهرة الذي تبركت بالمساهمة في تأسيسه عقول وسواعد أمازيغية في منتصف القرن الرابع الهجري. ففي قلعة الفكر الخالدة هذه انعقدت أولى مجالس المذاكرة التي أرست الدعائم الفلسفية لمدرسة التصوف. هنا تبلورت نظرية الإنسان الكامل المرتبطة بمبدأ الحقيقة المحمدية والذي إنسلت عنه فكرة القطبانية وتم ترتيب نظام الحدود الهرمي المقتبس من مراتب الصوفية كالأبدال والأوتاد والنقباء والنجباء كما جاء في الأثر. ففي ظلال الأزهر الشريف اتصلت روحانية الشرق والغرب والماضي والحاضر حتى استحال التمييز بين ما هو من صميم العرفان الإسلامي وما هو من صميم الحكمة البابلية والفرعونية دون أن ننسى الأفكار الغنوصية والقيم الهرمسية

التي ساهمت في تلقيح المدرسة الصوفية فكان المولود الجديد القديم قدم الإنسانية أول صورة ناجحة للعولمة الروحية تتشرف الجزائر بتبنيها ورعايتها.

على مر القرون، توطدت الروحانية الأمازيغية وتشعبت شبكة اتصالاتها بفضل ازدهار الحركة التجارية التي ربطت بلاد السودان بالبحر الأبيض المتوسط عبر طرق واسعة امتدت من الصحراء الكبرى إلى بحيرة تشاد وتمبوكتو فضلا عن الأسطول الجزائري الضخم الذي كان يجوب البحار بين أوروبا وإفريقية والهند وكذا فتح المزيد من الثغور والرباطات التي أمنت السواحل وكرست قواعد الحركة الزهدية المرابطية التي تولدت عنها سائر الطرق الصوفية كما أرست تقاليد الفتوة المرتكزة أساسا على مثل الشهامة والنجدة والإيثار وغيرها من مكارم الأخلاق التي ميزت الإنسان الأمازيغي عبر العصور.

إن اختصاص أهل بيت النبي ﷺ بطهارة الأصل ورسوخ قدمهم في مجال الحقيقة جعلهم قدوة الأمازيغ ومشرب معارفهم. فقد وصل شيوخ الطريقة من البربر أئمة أهل البيت بمذهبهم وجعلوهم

الحادي عشر ومن ثم إلى حواضر المغرب الأوسط وعلى وجه التحديد إلى بجاية الناصرية مع حلول القرن الرابع عشر وما رافقه من تقعيد قواعد وتنظيم رسوم الطريق الصوفي الذي أضحي مدرسة قائمة بذاتها مملوكة لفكر ولمصطلحات ومناهج خاصة بها.

لم يستقطب الورع والزهد طبقة المحكومين من الشعب الأمازيغي فحسب بل تعداه ليخترق أبراج الحكام والملوك. فقد كان السلاطين المثلثون من حكام الدولة المرابطية الذين حكموا الجزائر من منتصف القرن الخامس إلى منتصف القرن السادس الهجري أسوة يقتدى بها في ميدان التقشف والتبتل حتى أنهم كانوا أقرب إلى الرهبان منهم إلى الملوك وعلى رأسهم يوسف بن تاشفين الذي بلغ به التواضع والانكسار إلى الالتزام بلباس الصوف والامتناع عن غيره من الأردية التي أباحها الشرع.

كما أسهم من بعد المرابطين إمام الموحدين القائم بأمر الله محمد بن تومرت في بلورة التصوف البربري بفكرة المهدوية كما ألبس حواضر قسنطينة وبجاية

من مؤسسي سلسلة السند الشريف كما عزوا إليهم هيكله مقومات سلوكهم الصوفي كالولاية، العصمة، الكرامة، الشفاعة، الكتمان، التأويل الباطني للشريعة وكذا مجمل نظمهم وتقاليدهم الرسومية والاعتبارية كالمرقعة والخزقة والصحبة ما يؤكد خطورة شأنهم وعلو درجتهم في ميدان الروح.

فمن المعلوم أن معظم مؤسسي الطرق الصوفية، التي يفوق عددها في الجزائر اليوم الأربعين طريقة، إن لم يكن جميعهم، ينحدرون من أصل شريف. ومن ثم لما ذهبت عنهم الخلافة الظاهرة لكونها صارت ملكا عوضا عوضا عنها الخلافة الباطنة حتى ذهب إلى أن قطب الأولياء لا يكون إلا منهم بل هذا مسطور في كتب القوم وصرح به أكابر الأولياء كالجيلي وابن أدهم وابن العربي وغيرهم وهذه الخلافة العظمى وناهيك بها شرفا.

يذكر في هذا المضمار المساهمة الروحية المتأخرة والحاسمة للشرفاء الصقليين الذين تركوا صقلية عقب تغلب النورمان ولجأوا إلى الأندلس أواخر القرن

بل كذلك من تجاهل وتطرف العباد والمؤسسات. فبفضل هذه الرؤية المتبصرة التي تستكمل مسار المصالحة الوطنية تستفيق الجزائر من غيوبتها الروحية وتستعيد ذاكرة التصوف والعرفان بعد انقضاء سنوات الردة والكفران.

اعتبارا من القرن السادس للهجرة بدأت المصادر التاريخية تشير إلى ظاهرة جديدة في صفوف الأمازيغ مفادها تخصيص فضاءات قدسانية منقطعة للتأمل والصلاة القلبية عرفت بالزوايا («من مصدر زوى، إنزواء، زاوية، إشارة إلى مكان العزلة والخلوة») التي أخذت شيئا فشيئا تحل محل الرباطات التي عادت إلى وظيفتها الدفاعية الأولى والتي كانت قد أرسيت اعتبارا من نهاية القرن الأول للهجرة وإن لم تتكاثر عندنا إلا بحلول القرن الخامس الهجري. وكأنه حصل لدى البربر إعادة توزيع للأدوار بجعل الرباطات التي امتدت من ميناء القالة شرقا إلى ميناء الغزوات غربا تقوم مقام الجهاد الأصغر بحمايتها للثغور ومراقبتها للعدو القادم من البحر والاستعداد لمقاومته عبر التدريبات القتالية بينما عادت وظيفة

وتلمسان لباس التبتل والمسوح. بينما أقام مركز دعوته برباط ملالة أين عمل على بث مبدأ التأويل الذي اعتمده كوسيلة إلى المعرفة التحقيقية تماما كما تذهب إليه المدرسة الصوفية في اعتمادها التجربة الروحية كسبيل أكيد يؤدي إلى الكشف والإيقان.

كما برزت أسماء ملوك وأمراء وقادة أمازيغ تميزوا تاريخيا عن غيرهم من الحكام باحترامهم الشديد للصوفية ولخدمتهم لهم بإخلاص وإجلال وتقان. بل منهم من تصوف وتمربط وثبتت ولايته، نذكر منهم أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي الندرومي مؤسس دولة الموحدين في المغرب الكبير والأندلس، والسلطان الزناتي يغمورسن بن زيان، والأمير الحمادي أبو يوسف يعقوب الصنهاجي والأمير عبد القادر الجزائري وآخرهم الرئيس عبد العزيز بوتفليقة الذي اتصفت عهده بإعادة الاعتبار نهائيا للتراث الصوفي الذي يعرف انبثاق عهد جديد بعد أن انبرى المسؤول الأول للدولة الجزائرية جاهدا لوضع حد للمعاناة التي لحقت بنسغ هويتنا وركيزة شخصيتنا ليس فقط من لوعات الزمن

الأنصاري الملقب بغوث الله الأعظم لعلو مقامه وخطورة شأنه في هذا المجال دون أن ننسى عندليب الرسول فخر بني حماد أبا عبد الله شرف الدين البصري الصنهاجي صاحب الميمية المشهورة بالبردة في مدح النبي التي لم يأت بمثلهما أحد، لا من قبله ولا من بعده.

و لقد اشتد انتشار المرباطين والصوفية بين صفوف الشعب الأمازيغي اعتبارا من القرن الخامس عشر إلى أن استكملت الزاوية وظائفها النهائية في العهد العثماني الذي شهد تكاثرا مظهريا لطرق السلوك والمجاهدة لدى البربر وما رافقها من تعدد ملفت للخلوات والمعابد والصلوات التي يذكر فيها اسم الله.

لكن إعادة التوزيع الهيكلي التي مست الزوايا والرباطات لم يكن لها لتمكن استمرار تخرج كبار العباد والزهاد من الرباطات عرفوا بالمرباطين كما لم يكن لها لتمكن بروز مقاتلين أمازيغ جواسر تولوا الذب عن حياض هذا الوطن ضد محاولات الغزو المتكررة التي ما انفك يقوم بها الإسبان والبرتغال والنورمان حتى استحالت في بلادنا اليوم التفرقة

الجهاد الأكبر للزوايا أين تلقن تعاليم الاعتكاف والتبتل مع تقنيات مراقبة النفس وكبح أشباح الغريزة عبر الزهد والصمت والانقطاع إلى الله.

كانت زاوية أبي زكريا يحي الزواوي يحي اللؤلؤة، رائدة هذه المعازل الإيمانية التي تكاثرت بشكل ملحوظ بمدينة بجاية اعتبارا من القرن السادس الهجري لدرجة أن عاصمة الحماديين صارت لقداستها وطهارتها حرما آمنا يستلزم على كل من دخلها من الغرباء والمسافرين أداء شعائر الوضوء بئر السلام قبل تخطي عتبة أسوارها. فلقد سبقت لها العناية والستر بسبب الاعتقاد في كونها هي " العين التي تغرب فيها الشمس " التي ورد ذكرها في القرآن الكريم سورة الكهف، آية 83-87 بصدد قصة ذي القرنين.

تربى في أكناف قدس بجاية واستلهم من فيض مددها أحد أساطين هذا الأمر، ألا وهو الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر ابن العربي أحد أتباع قطب أقطاب التصوف على الإطلاق وشيخ مشايخ المشرق والمغرب فخر الجزائر من بجاية إلى تلمسان سيدي أبي مدين شعيب بن الحسن

والتمييز بين المرباط والصوفي.

فسرعان ما استعادت الزاوية وظيفة تكوين مجاهدي النور الأشاوس من البربر الذين انتفضوا ضد طغيان العباد والمؤسسات خاصة عقب الاحتلال الفرنسي من طراز عذراء الجبل المرباطة الشريفة لالة فاطمة أنسومر بنت سيدي محمد بن عيسى مقدم الطريقة الرحمانية لدى قبائل زواوة. كما برزت عدة أسماء أخرى ذات رابطة بالزوايا تميزت باقتدارها وجسارتها في ميدان الكفاح المسلح من أمثال الشيخ الشريف أحدات الذي جلس على السجادة العلية الرحمانية بعد انتقال شيخه الأجل سيدي محمد بن عبد الرحمن القشطولي الزواوي الأزهري الذي ورثه برakte ووكيله المغوار ببلاد القبائل الشيخ المقراني، دون أن ننسى الأسماء المعاصرة التي أنجزت أو وطأت لثورة أول نوفمبر 1954 التحريرية الكبرى من أمثال البطلين الشهيدين مصطفى بن بو العيد وسي الحواس اللذان تلقيا تربيتهما بالزوايا الرحمانية بأوراس، وغيرهم كثير من الشهداء والمجاهدين الذين أنجبتهم زوايا الجزائر. كما لم يقتصر جهاد المرباطين

الأمازيغ على الحدود الجغرافية لوطنهم الأم بل تعداه ليشمل كافة أوطان الإسلام والمسلمين من شمال إفريقية والشرق الأوسط إلى جنوب الصحراء الكبرى ومن سواحل الصومال شرقا إلى السنغال غربا.

هذه الأسطر القليلة تكفي للإيعاز بمدى نفوذ الروحانية الأمازيغية في العالم بأسره. بالفعل، تتيح شمولية التربة التعبير عن الانبساط الأفقي لجماعة المؤمنين خارج حدود الوطن الأم الجزائر. بينما ترجع أهمية الظاهرة المرباطية أساسا إلى تمثيلها لخصوصية هذا الإسلام الانعتاقي الذي يميز بلادنا. من جهة، نلاحظ أن هذه الروحانية تحمل على عاتقها مهمة توصيل الرسالة الباطنية للنبوة إلى قلوب البربر. من جهة ثانية، نلمس استمرارا لعلم العرفان الذي يعد إنجازا يتحقق بفعل الشفقة والرحمة التي أتت بها تعاليم الأنبياء والأولياء، فضلا عن استرشاد المعاني الروحية لكلام الله.

إن تغلغل التصوف في أجيال عديدة من البربر جعل الإيمان الشعبي الجزائري شديد الارتكاز على مبدأ تكريم الأولياء. وما تناثر المقامات المكعبة الشكل الثلجية

تعد اليوم حصنا منيعا لثوابت أمتنا وقيمها المهددة بأخطار العولمة التي تحقد بها من جنبات الأرض وأعالى السماء.

إن الإرث الروحاني لأجدادنا الأمازيغ باعتباره خلاصة شاملة للحياة يصبو برأفة ورقة إلى الإجابة على كبريات الأسئلة الوجودية. إنه يفيض بعبقات الرحمة ودقائق الحكمة. فهو يجمع بين الخالق والمخلوق، بين الروح والجسد، بين الفرد والمجتمع، بين الإيمان والوطن. تعد هذه الحكمة المتوارثة في الجزائر جيلا عن جيل التعبير الأسمى لإنسانية الإسلام ولرسالته الكونية التي تؤكد على كرامة الرجل والمرأة باعتبارهما يقومان معا بخلافة الله التي تعد حماية الطبيعة وتقديس العمل و نشر الأمل والفرح إحدى ركائزها الأساسية.

من جانبها تجسد الزاوية تعبيرا حيا عن حالة تأملية تنبع عن روحانية أمازيغية تلقائية. فهي تعمل على تغيير محيط المؤمن وتمكين هذا الأخير من الارتقاء إلى السماء بمدّه قناة اتصال حميمية مع الملئ الأعلى دون قلعه عن مجتمعه وحقائقه الأرضية. هنا يكمن جوهر الوظيفة الإنسانية لهذه

البياض على قمم التلال والجبال التي يضاهي عددها في مطلع قرننا الحادي والعشرين العشرة آلاف زاوية ومقام إلا شهادة على حيوية الإيمان الأمازيغي. ما يدل على اصطباغ كافة مرافق الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية والسياسية بالصبغة المرابطية. حتى يمكننا القول أن تأريخ الجزائر الإسلامي هو تأريخ صوفي. وقياسا عليه نستلزم تأصل حاضرها وارتسام معالم مستقبلها الروحي. إذ أن البيئة الروحانية هي التي كيفت نفسانية الفرد الأمازيغي على مر العصور وحددت معالم جوه الثقافي بمفهومه الشامل لطريقة الحياة وفلسفتها من أدب وسلوك وموسيقى وعمران إلخ.

تعد هذه الفضاءات التعبدية في ظل الحرية التي استعادت الجزائر، بعد أن دفعت ثمن التضحية الباهض، بحق أبراج للمراقبة وللذكرى. فمثلما يرجع الفضل بالأمس إلى الزوايا في الحفاظ على شخصيتنا الروحية والثقافية رغم ما يربو من قرن ونصف قرن من محاولات المستعمر طمس هويتنا الأمازيغية عن طريق خلخلة ركائزنا الدينية واللغوية فهي

الأمازيغية في باطنها والتي من شأن روح التسامح والسخاء التي تميز هذا الكنز المعنوي المساهمة باقتدار لا يضاهى في التقريب بين الشعوب والثقافات.

يمثل البعد الصوفي للثقافة الأمازيغية انتفاضة جليلة وشهادة قطعية على الحيوية الروحية للمؤمن باتجاه أية محاولة تستقصد تقزيم الورع وحصره في مجرد آلية شعائرية. لقد طوّرت هذه الروحانية منظومة إشراقية دقيقة التفصيل. تستلفت مؤشراتنا لاهوتا مكتملا يعرف تحت تسمية "المرابطة".

يعلّمنا التأريخ أن الإيمان يركّز في أزمنة معينة على صيغ وطقوس تعبدية غالبا ما يعتبرها المؤمنون أحداثا شديدة الانطباع و الالتصاق بالشعائر المتعلقة بالتدين الشعبي. يعكس هذا الطراز من التدين النظرة الرموزية للكون والإدراك الطبقي والقدساني للعالم. كما يستقطب عناصر مختلفة من مميزات المجتمع الإسلامي كتحاليم الصوفية ورسومهم الانتظامية، فوائح العرفانيين الكشفية وقواعد الزهاد الاعتكافية. فضلا على الاستلهام القرآني فإن التدين الأمازيغي يظهر استلهاما "أنثروبولوجيا" يتجلى في

الفضاءات المغناطيسية المفتوحة التي تشكل بحق معارج للروح وصورها لتشييد ورعاية قيم التضامن والمحبة والسلام لدى سائر البربر.

بمشموليتها للمتضادات، تتجلى الزاوية كفضاء متعدد الوظائف لدرجة احتوائها الاكتمالي لتجربة الإنسان الأمازيغي. بالإضافة إلى كونها حبل ارتباط مع المقدس فإن الزاوية تفتح بابا غير مرئي على المطلق وتساهم في بث الطاقات الكونية. لا شك أن قيمة هذا الإرث الروحاني المستحصل على مدار العصور أكيدة باعتباره يحمل عناصر تحليل مبتكرة بإمكانها إلقاء الضوء على جوانب استثنائية وغير مألوفة هي من صميم ثقافتنا الأمازيغية.

لأجل أن روحانيتنا تلمس السر المصون وتؤسس عماد ضميرنا المكنون فهي تعيد صياغة كبريات المواضيع المتداولة في فكرنا الإشراقي وتكشف لنا المعنى الروحي للتأريخ بتأويلها الكشفي للحقائق التي تشترك فيها جميع الحضارات. كل هذا من شأنه أن يشحن خزانة الأسرار والأنوار التي تحملها أمتنا

الإسلامية، على اختلاف مللها ومشاربها، يبرز إسلام شعبي تتعايش فيه، بانسجام، عناصر منبثقة عن المعنى الروحي للحياة، عن الثقافة الأصيلة للشعب وعن الوحي القرآني.

ينطبع التدين الشعبي بالواقع التاريخي والثقافي الذي يترعرع فيه. تترجم هذه الميزة عبر تنوع تعابيرها التي ازدهرت وتدعمت والتي تشكل إشارات كافية لتجذر حقيقي للإيمان في صفوف الشعب الجزائري واندماجه في الحياة اليومية لجماعة المؤمنين. من هنا، يرتقب من التدين الشعبي أن يقوم بتنوير الإيمان انطلاقاً من القلب باعتباره خلاصة لقاء الحركية الإبداعية للخطاب القرآني ومختلف العناصر المؤسسة لثقافتنا الأمازيغية.

تلقي الرموز والتعابير الشعبية.

إن الحقائق المعنية بعبارة "التدين الشعبي" تشير إلى مفهوم ينطوي على خبرة كونية. يبقى قبس من التدين حاضراً في قلب كل إنسان كما في ثقافة كل شعب من الشعوب، بخاصة في إطار تعابيرها الفردية دون أن نستثني طابعها الجماعي. من هذا المنطلق تسعى الأمة الأمازيغية على غرار سائر الأمم إلى التعبير عن نظرتها الاكتمالية للملكوت وكذا إدراكها للطبيعة، للمجتمع وللتاريخ موكلة أمرها للشفعاء الدينيين حتى تحقق استحصالاً وبعداً إنسانياً وروحانياً فائق القيم.

إن التدين الشعبي ليس بظاهرة خاصة بالثقافة الأمازيغية. ففي العديد من الأقاليم التي تعيش فيها مجتمعات متشعبة بالقيم

